المجلد: 18 العدد:02/مارس 2023
ص: 411 - 423
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

تطور الدرس اللغوي وتحوله التاريخي بين الفترتين: الجاهلية وصدر الإسلام

The evolution of the linguistic lesson and its historical transformation between the two periods: pre-Islamic and early Islam

عبد القادر سماعيل [1]*
[1] كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- أحمد بن بلة - جامعة وهران 1 (الجزائر)،
البريد المهني:semaiel.abdelkader@edu.univ-oran.dz

تاريخ الإرسال: 2022/09/30	تاريخ القبول:2023/02/28	تاريخ النشر: 2023/03/28

****

ملخص:

الدرس اللغوي من أهم مسالك العلم التي عرفت تحولات وفق منحى تصاعدي منذ مجيء الإسلام، فقد كان نزول القرآن وتوالي الدوافع بعده لجمع اللغة والنظر في علومها بوابة تدفقت منها محابر العلماء، ليخرج لنا كم هائل من الجهود اللغوية يمكن تصورها من خلال النظر في واقع اللغة العربية خلال العصر الجاهلي، والنقلة النوعية لها في جانب التقعيد والتأليف منذ صدر الإسلام وما ارتبط بهذا الأخير من معالم مستقات من معين الوحيين، أكسبت العربية الشرف وجعلت مستوياتها تحظى بسر الحفظ النابع من القرآن والموثق بأقلام الأفذاذ من أهل العلم، لتكون بهذا العربية السيدة في ميدان اللغات وتكون دراساتها ونظرياتها اللغوية من أرقى ما كُتب وتوصّل إليه الباحثون تبعا لما جادت به الدراسات السابقة من منهل الذكر الحكيم.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم;الجهود اللغوية;السليقة;التدوين;المستويات اللغوية.

ABSTRACT

The linguistic lesson is one of the most important science tracks that has seen shifts in an upward trend since the advent of Islam. The revelation of the Qur'an and the pursuit of the motives of the collection of language and the consideration of its sciences was a gateway from which the inks of scholars flowed. Its qualitative shift in grammar and authorship since the beginning of Islam and the features associated with the latter derived from it has thus earned Arab honor and made its levels enjoyed the secret of memorization emanating from the Qur'an and documented by the pens of extraordinary scholars. The Arabic language became aqueen in the field of languages, and its studies and linguistic theories became one of the finest written and concluded by researchers according to previous studies from the Holy Quran.

Keywords:

The Holy Quran ;Language efforts ;fluency ;Blogging ;Language levels.

---

*ط.د. عبد القادر سماعيل، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- أحمد بن بلة - جامعة وهران 1

تطور الدرس اللغوي وتحوله التاريخي بين الفترتين: الجاهلية وصدر الإسلام

1. مقدمة:

البحث في الحياة العامة للعرب قبل الإسلام يعكس تلك المحدودية في كل المجالات، فوصف الجاهلية متحقق بكلياته على هذه الأمة في بيئتها، فالحمية في غالبها آنذاك حمية باطل، دافعها أحقر من أن ينطق عليه ذو لبٍ ببنت شفة، والجهل فيها أرخى سُدوله حتى أغلِقت عقولهم، مطلقة العنان لسيوفهم لتتصاول الشهور ذوات العدد؛ من أجل سباق خيل، أو مد قمح، أو ما هو أدنى، والأخلاق فيها لامست الثرى، فسادَ القتل، والوأد، والربا، وشرب الخمر، وضروب النكاح المحرم، وما تأباه النفوس السوية، وليس هذا نفيٌ لما وُسموا به من مكارمَ ومحامدَ كالجود، والكرم، ونصرة المظلوم، وغيرها، بل هو بيان عامٌ لحياة كان فيها الانحطاط وصديد الجهل صاحب القدم الراسخة، من أمة عكفت على عبادة أصنام من حجر وتمر تأكله إذا جاعت[1]، وما يزيد هذا الوضع المتهالك للعرب آنذاك بيانا؛ حال أهل الكتاب في تلك الفترة وما عرفوا به من رغد في الحياة والفكر.

وإذا التفتنا إلى جانب العلوم عند العرب في تلك الفترة المغبرة، فليس الحال ذو شأن[2]، إلاّ ما عرفوا به من فصاحة وبراعة بيان فاقوا به كل اللغات وسادوا به على كل الناطقين[3] ، ولو أن الباحث أطلق نظرة الفاحص المتمعن في الموروث اللغوي قبل الإسلام وبعده لوجد ذلك البون الشاسع في معالم هذا الدرس والأثر الواضح للقرآن على هذا الأخير، وهو ما سنزيح عنه الستار في هذه الرحلة العلمية وفق بيان قاصد موصل للمطلوب، من منطلق هذه **الإشكاليات**:

1/ ما مدى تأثر اللغة العربية بالبيئة الجاهلية من حيث مادتها اللغوية؟

2/ ما هي معالم الدرس اللغوي في العصر الجاهلي؟

3/ هل التحوّل الذي أحدثه القرآن في حياة العرب أثّر على لغتهم بمستوياتها؟

4/ كيف كان الدرس اللغوي إبّان صدر الإسلام في كنف القرآن الكريم؟

من خلال هذه الإشكاليات التي دارت رحاها حول درس اللغة العربية ومستوياته في الفترتين وقصد الوصول إلى بيان شاف في هذا المنحى سلكنا مسلكا **تاريخيا تحليليا** وفق **منهجية** قائمة على مبحثين وتحت كل مبحث مطلبين: **المبحث الأول**: خاص بالدرس اللغوي في العصر الجاهلي معرجين فيه على طبيعة اللغة في هذه البيئة، مع بيان حدودها ومعالم الدرس اللغوي فيها في المطلبين المنطويين تحته.

أما **المبحث الثاني**: فعنوناه بـ الدرس اللغوي في صدر الإسلام، مشيرين في مطلبيه إلى التحول الذي أحدثه الإسلام في درس اللغة ومعالم الدرس اللغوي في هذه الفترة

أهداف البحث: لا شك أن لكل باحث في أي جهد علمي جملة من الأهداف المسطرة التي يرُوم الوصول إليها من خلال المقاربة والمنهجية العلمية التي يتبعها في بحثه، ولمّا كان مدار هذا البحث حول الدرس اللغوي في فترتين متباينتين من الزمن تجلت لنا الأهداف الآتية في هذا المسعى:

1/ تقديم رؤية واضحة ومختصرة لمعالم الدرس اللغوي من خلال فترتين زمنيتين هما العصر الجاهلي وصدر الإسلام وفق قراءة تاريخية تحليلية في الموروث العربي في الفترتين.

2/ بين بعض الجوانب من التحول الذي أحدثه القرآن الكريم في الدرس اللغوي.

3/ فتح شق من باب واسع خاص بدرس العربية في معينه الأول، من أجل التوسع ومزيد الجهود في هذا الباب

2.الدرس اللغوي في العصر الجاهلي

1.2 الطبيعة اللغوية في البيئة الجاهلية:

الحياة في العصر الجاهلي مخالفةٌ مخالفةً بيّنة للحياة بعد مجيء الإسلام؛ فلا تجد الاشتراك بينهم إلا في سُبل يسيرة أقرها الإسلام أو صقلها وأحكم زمامها؛ كونها غير مخالفة لتعاليمه السامية، ومع المحدودية في جانب العلوم في هذا العصر نجد محدودية مثلها في الوسائل والآليات التي تخدم العلم؛ فاللغة آنذاك لم تُعرف بمفهومها الحالي ولا بأبوابها ومستوياتها؛ بل إن الحاصل في العربية أنها نتاج تطور ومرحلية ظاهرة في جانب التأليف واستخلاص الفنون والعلوم فيها، يقول أحمد مختار عمر: " لم يؤثر عن العرب أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام ولهذا فهم متأخرون زمنيا عن كثير من الأمم التي سبق أن تحدثنا عن جهودها، والتي عُرف لبعضها دراسات لغوية راسخة قبل الإسلام بقرون."[4] ، ولو أردنا أن نقف على فنون اللغة في العصر الجاهلي لما وجدناها تخرج عن الشعر بضروبه؛ جاريا على ألسنتهم زلالا سلسا، وشيء من الخطابة والأمثال والقصص، ولكل منها قالب خاص يجسد الحياة العقلية والاجتماعية للعرب إبّان تلك الفترة يقول أحمد أمين: " ومظاهر الحياة العقلية في الجاهلية هي اللغة والشعر والأمثال والقصص وهي فقط مظاهر عقلهم أما العلم والفلسفة فلا أثر لهما عندهم."[5]

ولا نكاد نقف على شيء من هذا الإرث اللغوي المكتوب لولا ذاك النزرُ اليسير من الصحاف التي قُيدت فيها هذه الفنون كالمعلقات، أو الجُهود التي جاءت بعدُ لتشغل جانبا منها وثّقتهُ في الكتب؛ إذ الأمر في الجاهلية مردُّه إلى الحفظ والمشافهة والسليقة في جانب الفنون اللغوية، فهم أهل اللسان والبيان، لا حاجة لهم إلى حفظ وتدارس وقراطيس يوشّحون فيها معهودهم اللغوي من أجل النطق السليم؛ الذي انساب بينهم كما ينساب النسيم كل صباح، فإنك ترى الواحد منهم يسوق العبارات الحِسان، ويُطيل الوصف، ويتفنن في التنقّل بين الأساليب لمجرد موقف شدّه، أو حال استعطفه، أو جمال سَحَره، أو غير ذلك من المشاهد التي لا يعد لها العربي عُدة، ولا يَحسِب لها حسابا؛ بل هي مَلكة وسليقة تابعة للمواقف يُخرج فيها مكنونات النفس، ويبدع فيها إبداعا، والأمثلة على هذا مستفيضة يتقدمها مشهد " الخنساء " وهي حالقة شعرها، وممتطية حصانها حزناً على مقتل أخيها "صخر"، لتخرج من فِيها أبلغ الكلمات وأمتَن الأبيات الشعرية في الرّثاء، ومحفلُ بشر بن عوانة وقصيدته الراقية؛ التي جاءت وصفا لموقفه الشجاع مع الأسد في طريقه إلى خزاعة من أجل مهر ابنة عمه، ليعبر لنا عن مشهد عكس الشجاعة وأظهر البلاغة في أبيات كتبت بدم الأسد، لتكون أبلغ أوصاف الهزبر(الأسد) على مر التاريخ، يقول عمرو بن بحر الجاحظ في بيان هذا الواقع الثابت للعرب: " وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال؛ وكأنه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر، ولا استعانة [...] فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالا وتنثال الألفاظ انثيالا، ثم لا يقيّده على نفسه ولا يدرّسه أحدا من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلّفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ويحتاجوا إلى تدارس وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم، من غير تكلّف ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب."[6]

وأما ما كانوا عليه من الهمجية في مجتمعهم الجاهلي وتردٍ للأخلاق وفي مقدمة هذا الرَكب الشركُ بالله وعبادة الأوثان التي ظهرت واقعا بيّنته لغتهم يقول زهير بن أبي سلمى:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجُرهُمِ.

وباللات والعزَّى التي يعبدونها ... بمكة والبيت العتيق المكرَّمِ.[7]

فهذا التردي والجهل لا يدفع عنهم ولا ينفي ما وسموا به من ذكاء، ونباهة، واختبار وحنكة، وسلامة رأي وبعد نظر في مواقف كثيرة ومن أشخاص كثر، ثم إن قوة التحليل ومنطق التفكير واضح ظاهر في لغتهم بما ساقوه في أشعارهم من حكم وأمثال ما رأيناها في كلام الأعلام من الفلاسفة، ولك أن تنظر في قول زهير في معلقته وهو يسوق المعاني الراقية في أبهى الحلل اللفظية عن الموت، والقدر، والعزة، والحكمة في العطاء، حيث يقول:

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ من تصبِ ... تُمته ومن تخطئ يعمّر فيهرمِ.
رأيت سِفاه الشيخ لا حِلم بعده ... وأن الفتى بعد السَّفاهة يحلِمِ.
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنَّني عن علم ما في غد عمِ.
ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم.
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم.
ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يعد حمده ذما عليه ويندم.[8]

وقول طرفة بن العبد في الصحبة وحقيقة الأيام وأقوَم ما فيها:

ولا خير في خير ترى الشر دونه ... ولا قائل يأتيك بعد التلدّد.
لعمرك ما الأيام إلا معارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود.
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي.[9]

وقول كعب بن زهير في القدر والرزق:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر.
يسعي الفتى لأمور ليس مدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر.
والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر.[10]

فترى من خلال هذه القطوف وغيرها كثير، قدرا بالغا من الحكمة ومبلغا عظيما من الجمال اللغوي، الذي يعكس حياة - على ما فيها من الجاهلية – حملت رقيا فكريا وأخلاقيا ذو اعتبار وما كان لنا أن نستشف هذه المحامد التي وصفوا بها لو لم تكن متجسدة في أقوالهم، وأشعارهم، وأمثالهم؛ ذلك أن اللغة دليل صادق وأثر دال على أخلاق الأمم و آدابها وسائر شؤونها في كثير من مستوياتها، مادامت وسيلة يعبر بها الناس عن أغراضهم، فمدار الحياكة اللغوية والصنعة اللسانية التعبير عن معنى حدث في أذهان الناس، أو وصفا لشيء موجود يحتاج إلى مسمى، أو إحساس يصَبُّ في قالب الواقع بما يعكسه من مثال حي أو شبَهٍ مقرّبٍ للمعنى المراد، أو غير ذلك ، والحكم هاهنا على هذا الموجود اللغوي حكم على واقع معيش واستعمال مطابق للموجود عند أصحاب هذه اللغة.[11]

وما هذه الحكم والمواعظ إلا دليل لغوي يعكس لنا شيئا من هذا الواقع المعيش الذي تخلّلهُ جانب من المحامد.

2.2 حدود اللغة ومعالم درسها اللغوي في الجاهلية:

الأمر هاهنا منطلقه الحديث عن الكتابة التي أشار إليها الجاحظ قبل، فقد كانت ميزة لآحادهم بعيدة عن أكثرهم، إذ غالبية العرب في الجاهلية أميُّون لا شُغل لهم بالكتابة والقراءة ولا دافع لهم إليهما، بل حتى وسائل الكتابة حينها شحيحة انحصرت في الصحاف والرقاع وغيرها تماشيا مع القدر اليسير من المكتوب يقول الرافعي: " كان العرب بطبيعتهم أثبت الناس حفظا وأتمهم حافظة، وكانت الكتابة غير طبيعية في نظامهم الاجتماعي ومن ثم نشأ فيهم الأخذ والتحمل؛ فكان كل عربي بطبيعته راويا فيما هو بسبيله من أمره وأمر قومه."[12]

ولنا أن نذكر بعد هذا أن معالم الدرس اللغوي بكلياتها إنما هي مبثوثة في كلامهم ترسلها سليقتهم، حاكوا عليها شعرهم ونثرهم؛ إذ هي أصل لغتهم وجوهرها وكل ما هو متفرع من ضروب العربية ومصطلح عليه فيها؛ فإنه من أصلها الأول ووضعها الأسبق مما هو مشترَط على قبوله امتدادا في العصر الجاهلي، فلو أنك أردت أن تبحث عن أقسام الكلام وأسماء الأدوات، والنواصب والصيغ الصرفية وغير ذلك مما حواه علم النحو والصرف، وقصدت بالبحث أقسام البلاغة، ومعاجم اللغة، وتصنيفات الدلالة ومستويات الأصوات، وجرد مخارجها خلال العصر الجاهلي لما وجدت شيئا من هذا القبيل؛ ذلك أن كل هذه الفنون والعلوم دونت في وقت لاحق. لكن لو أردنا أن ننظر في هذه المستويات اللغوية المصطلح عليها الآن من خلال الموروث اللغوي في العصر الجاهلي لوجدنا أن أصل هذا التأليف والجمع من منهل هذه اللغة بما حوته من بدائع استُخرجت ورتبت ودُونت بعدُ.

وغياب التدوين في اللغة وفنونها وعلومها آنذاك راجع إلى غياب الدافع لذلك، يقول ابن خلدون في بيان سبب تأخر العرب في التدوين: " والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا إليه، ولا دعتهم إليه حاجة وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين، وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله بالقراء أي: الذين يقرءون الكتاب وليسوا أميّين؛ لأن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربا."[13]، ناهيك أن كل واحد منهم كان سيد نفسه في اللغة، لا حاجة له إلى قواعد يدرسها أو مستويات يفهمها، مُعتمده السماع، واختياره وتأليفه للكلام وحكمه عليه راجع للقريحة والملكة اللغوية، وما شذّ عن هذا وما كان من لحن فهو معروف عندهم لا يخفى عن آحادهم، كلحن الموالي والعجم أيامهم.

فالنظر في هذا العصر نظرٌ في أصل اللغة ومادتها لا فيما دُون فيها وهو أمر بالغ الأهمية؛ إذ أن هذه اللغة التي جرت على ألسنتهم والتي نزل بها القرآن فزادها بهاءً ورونقا فاقوا بها كل اللغات وسادوا بها على كل الناطقين، فلا ترى لغة من اللغات تجلّي لك المعاني وتُغنيك بالألفاظ وتكشف لك المكامن وفق أجلّ التراكيب وأوضح الصور وأدلها كالعربية، يقول أحمد بن فارس: " وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إِلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة. فأين هَذَا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب، هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذي نُهيَة."[14]

وليست السيادة لهم في هذا المنحى مما ذكر من تعدد الألفاظ الدالة على الشيء الواحد فقط، وإنما هي لهم في باب الاستعارات والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والالتفات وغيرها من سنن العرب في كلامها، وللباحث أن يقف على المعايير المتبعة في تقويم اللغات عند علماء اللسان واللغويين ليجد أن العربية ضفرت بسر الخلود وتوجت بتاج الجمال مرونةً وسعة لا تضاهيها لغة، يقول أحمد أمين: " إن اللغة العربية أرقى اللغات السامية كما يقرر دارسوا تلك اللغات، فلا تعادلها اللغة الآرامية ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي، وهي كذلك من أرقى لغات العالم فهي تمتاز حتى عن اللغات الآرية بكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها."[15]

ويقول الجاحظ في بيان ما للعرب من القوامة في جانب اللغة وروعة الحياكة في مستوياتها وفق انفراد ظاهر لهم في ميدان البيان: " ونحن- أبقاك الله- إذا دعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والإرجاز، ومن المنثور والإسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير، والنبذ القليل."[16]

ولنا أن نتصور روعة هذه اللغة وسبقها بعد هذا الوصف والحكم من الجاحظ صاحب اليد الطولى في البيان، وفي عصر مقارب للعصر الجاهلي (ق3ه)، ومع هذا أظهر لنا الجاحظ البَون الشاسع بين نسج الكلام في الفترتين.

إذن الأمر هاهنا لا يتعلق بأصل اللغة في نفسها من حيث بلاغتها وأفضليتها فهذا لا غبار عليه بما قرره الدارسون؛ وإنما الأمر بالأبحاث المتعلقة بهذه اللغة والفروع المستخرجة منها حال النظر فيها؛ والتي صارت بعدُ فنونا وعلوما.

فالحاصل والمتقرر من أمر الفنون والعلوم اللغوية ومعالم الدرس العربي في العصر الجاهلي، أنه مرصعٌ في منظومهم ومنثورهم، تداولته ألسنتهم وعبروا به عن أغراضهم، دون تدوين لذلك أو اصطلاح وتقسيم وتخصيص مميّز لهذه الفنون والعلوم اللغوية المستوية على سوقها في عصرنا الحاضر، وما هو كائنٌ من ضروب اللغة شعرا، وخطابة، وأمثالا، من باب المعهود اللغوي الذي جرى عليه العرب حال النسج والوضع، والنظر في هذه الضروب نظر تذوق عام وتوجيه محدد للجيد ومسدد لما دونه، وفق القرائح والسجايا اللغوية التي دارت رحاها على السماع والتلقي لا على التخصيص وجرد الفنون المسموعة، وهو ما نجده من نقد للكلام والشعر في الجاهلية خصصوا له أسواقا وأياما، ونبغ فيه أناس صاروا معروفين به؛ بما خصُّوا به من دقة النظر وسلامة الرأي في جانب فنون اللغة يومها، وإن كان للعرب الجاهليّينَ سبق في جانب العلوم العربية واللغوية فهو سبق استعمال في جانب الفصاحة وروعة البيان لا في جانب التأليف فيها وشعبها وهذا الأخير فرع عن الأول ولا يقوم فرع دون أصل، لذلك وجدنا ذلك الغدق في العربية بعد إرسال المحابر تدوينا وإحكاما لهذه العلوم بعد مجيء الإسلام.

3.الدرس اللغوي في صدر الإسلام

1.3الإسلام وتحولات الدرس اللغوي:

لا شك أن التحول الذي شهده العرب في فكرهم ومعتقدهم حال مجيء الإسلام، سينعكس جليا على كل معيشتهم؛ فالانتقال الذي عرفه القوم ليس منوطا على شق روحاني، وتحول وجداني فقط، وإنما هو تحول شامل لكل مجالات الحياة الفكرية، والأخلاقية، والعملية، ولك أن تتصور هذا الانتقال العجيب الذي أحدثه الإسلام بتعاليمه، وغرسه النبي الكريم في نفوس العرب وغير العرب، إذا عرفت أن الأصنام هُدمت، والموءودةُ شُرِّفت، وقلوب أصحاب الشدة من العرب لانت (أمثال عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد...)، وسيوفهم التي سُلت بينهم أُغمِدت، ووُجّهَت نُصرة وعدلا، فلا عصبيّة إلا بحق الإسلام، ولا صرفاً للأحكام إلاّ بما جاء به الإسلام، ومنه صارت الخيام قصورا، والهوان عزاً وكرامة، وسار القوم في أصقاع الأرض فاتحين مالكين، كل هذا في كنف الدين الحنيف، وفي زمن يسير إذا قسناه على كل حضارة نَمَت، أو اندثرت بعد التمكين.

ومعلوم أن هذا الرقي الحضاري سيصحبه رقي علمي لغوي على غير ما فُطم عليه العرب رقة ونظما وجمالا، وبما عهدوه استعمالا، خاصة في جانب اللغة التي شُرع بها الدين ونزل بها القرآن، وهو الأصل الذي جُعل معجزة لنبينا الكريم، ما دام أن الأمر في كل شريعة خلت، متعلق بمعجزة خاصة تثبت صدق النبوة، وتفحم كل معارض، وقد عرفنا أن العربية التي نزل بها القرآن كانت أرقى اللغات وأرفعها، في كل مستوياتها، صوتا، وصرفا، وتركيبا، ودلالة.

وما كان من تحول في هذه اللغة الراقية، هو صنع إلهي بديع بدأ مع نزول القرآن الكريم ليأخذ بتلابيب هذه اللغة إلى سر الخلود، ويثبت فيها مادة الإعجاز الكامن في القرآن.

ومربط الفرس من هذا التحول النقلة العلمية التي أحدثها الإسلام والقرآن في جانب العلوم، إذ لا يمكن تصور علوم عربية إسلامية خارج القرآن يقول الرافعي في هذا الصدد: " غير أننا نوثق

الكلمة في أن القرآن الكريم كان سبب العلوم الإسلامية ومرجعها كلها - بأنه ما من علم إلا وقد نظر أهله في القرآن وأخذوا منه مادة علمهم أو مادة الحياة له، فقد كانت سطوة الناس في الأجيال الأولى من العامة وأشباه العامة شديدة على أهل العلوم النظرية، إلاّ أن يجعلوا بينها وبين القرآن نسباً من التأويل والاستشهاد والنظر، أو يبتغوا بها مقصداً من مقاصده، أو يريدوا معنى من معاني التفقه في الدين والنظر في آثار الله، إلى ما يشبه ذلك مما يكون في نفسه صلة طبيعية بين أهل العقول والبحث وأهل القلوب والتسليم."[17]

فأصل البحث والنظر والاستدلال والتقعيد وغير ذلك، من معين القرآن، وقد رأينا قدرا هائلا من العلوم التي لم يعهدها العرب ولا سمعوا بها قبل الإسلام، سواء في شق من لغتهم من حيث الألفاظ الجديدة والاشتقاقات، وبراعة النظم ودقة التصوير والتوظيف، أو مما هو ملازم للقرآن من علوم، كعلم القراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والفقه والأصول والتفسير وما جاور القرآن الكريم من بحث في إعجازه أدى إلى ظهور علم من علوم اللغة وهو البلاغة تأصيلا وتصنيفا، بل إن النظر في القرآن وكشف علومه صار علما في حد ذاته معروف بـ:"علوم القرآن" وضعت فيه مؤلفات تبيّن هذه العلوم وتستخرجها ككتاب جلال الدين السيوطي:" الإتقان في علوم القرآن "، والزركشي:" البرهان في علوم القرآن"، يقول شوقي ضيف: " ولا نبالغ إذا قلنا إن العلوم الإسلامية كلها إنما قامت لخدمته (القرآن)، فهو الذي هيأ بقوة لنهضة العرب العلمية."[18]

وتظهر منابت هذا الأثر على الحركة العلمية من خلال أمور أقرها الإسلام كانت محركا للعلوم أولها أن نشر تعاليم الدين وحفظ القرآن ملازم للقراءة والكتابة؛ التي كانت كما أسلفنا في الجاهلية بعيدة عن أكثرهم لا حاجة لهم بها إلا في النزر اليسير من آثارهم، وهو الوضع الذي غيره الإسلام من منطلق حفظ السطور وحفظ الصدور للقرآن الكريم، والشيء الذي حثّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في جانب القرآن بأن اتخذ كُتَّابا للوحي، وكما جاء في الخبر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأُسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ»[19]، ومع اتساع رقعة الإسلام وتمكّن المسلمين من القرآن واختلاط الناس، وظهور اللحن والميل عن المعين الأول، صارت الدعاية أوكَد والحاجة للقراءة والكتابة وتقييد العلم أشد.

زيادة على هذا، المضامين والتعاليم التي ساقها القرآن فاتحة مغاليق القلوب والعقول ومعملة للملكات الذهنية التي جادت بفيض العلوم، فلو تمعنا القرآن لوجدناه في كثير من المواضع سلك مسلك إعمال العقل والتدبر في آيات الكون وخلق الإنسان، ذلك أن أصل هذه المعجزة حركة العقل وإعمال الفكر، ليظفر العربيُّ وغير العربي بفتح من أصل كل العلوم الإسلامية وهو القرآن وما صاحبه من علوم.[20]

وللغة وفنونها ومعالم درسها في كل ما سبق ذكره نصيب وافر، قال تمام حسان: " وجاء الإسلام وله كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان حرص المسلمين على حفظ هذا الكتاب من أن يغيَّر، أو يبدَّل فيه حرصا مصحوبا بالغيرة والرغبة في العمل، ولقد كان هذا الحرص وتلك الغيرة وما صاحبها من رغبة، من الدوافع التي دفعت المسلمين والعرب إلى خلق طائفة من الدراسات اللغوية، كالنحو والصرف والمعجم والتجويد وهلم جرا، جعلت العرب يلمعون في أفق العصور الوسطى ويبدون بحق في مظهر القادة الفكريين في العالم."[21]

2.3 معالم الدرس اللغوي في صدر الإسلام:

الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم في اللغة العربية لا يقل عن الأثر الحادث في معتقد القوم وعاداتهم وطريقة عيشهم كما أسلفنا، فالعربية صارت لغة دين سماوي، وتشريع رباني نُخلت ألفاظها، وشُحذت أساليبها، وسُددت موضوعاتها، ووُحدت لهجاتها، وأُشربت ماء الحياة الذي جعلها خالدة، يقول مصطفى صادق الرافعي: " وكما أن الذي أنزِل عليه القرآن نبيُّ العرب فالقرآن نبيُّ العربية، بحيث لا تجد من فضل لرسول الله على الأنام إلا وجدت فضلا في معناه لكلام الله على الكلام."[22]

فلو أتينا إلى جانب اللفظ لوجدنا تخيرا بديعا ودقة وإعجازا ظاهرا فيه ولك أن تنظر كمثال في لفظة " اصدع " و" ضيزا " و" حياة " في وصف القصاص، فالقرآن قد استعمل ألفاظا تعرفها العرب وألفت استعمالها، على غير معهودها دلالة، ولفظ " المسلم " و" الصلاة " و" الزكاة " و" الحج " و" العدة " و" النفقة " و"الفرائض " أمثلة يسيرة من كثير في هذا الباب، كما قد استعمل القرآن ألفاظا واحدة دالة على أكثر من معنى وفق قرائن معينة وهو ما يعرف بالوجوه والنظائر أو بالمشترك اللفظي في الدراسات الحديثة كلفظ " العين " و" الرجل " وغيرهما، - وكلهذا قد سلك فيه الدارسون مسلك البيان والتوسّع لا حاجة للتفصيل فيه -، زيادة على أنه هذب اللغة من كل وحشي أو غريب في الاستعمال، فصار الميزان الذي تقاس عليه البلاغة ويُجوَّد به الكلام ، ولو نظرنا إلى أساليب اللغة لوجدنا أن القرآن قد طغى على كل الأساليب روعة، فأسلوبه من مكامن الإعجاز الذي لا يستطيعه أبلغ من نسج الكلام ونظم الألفاظ، وبهذا جعل القرآن للعربية لبنةً تستوي عليها أساليب الشعراء والخطباء، محدثا فيهم الأثر يقول الرافعي: " القرآن الكريم قد جمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان ومذاهب النفس إليه، فقد أحسوا بعجزهم عما امتنع ممّا قبله، وكان كل امرئ منهم كأنما يحمل في قرارة نفسه برهان الإعجاز، وإن حمل كل إفك وزور على طرف لسانه."[23]

ويتبع الأسلوب موضوعات الشعر وأصناف الخطب التي سادت في الجاهلية متضمنة كل أنواع التغني بالخمر والتشبّب بالنساء والعصبية وغير ذلك مما تأباه النفوس السوية، فلما جاء القرآن سدّد الأقلام، ودلَّ على ما يَحسُن إطلاق بنات الأفكار فيه فأضحت الخطب أبلغ والعبر أكثر، والوَقعُ على النفوس أشد بما توَّاخه الخطباء من أسلوب القرآن مقتبسين من آياته وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمست العناية بها أكثر من الشعر الذي خفَّ في صدر الإسلام؛ لاشتغال الناس بالقرآن والسنة عمّا سواهما، وانحصار موضوعاته بما يخدم تعاليم الإسلام ولا يخالفها كما في البُند المُثبت في سورة الشعراء.

وللقرآن أيضا دور فعَّال في إحداث الوحدة اللغوية عند العرب بأن جعل الأصل فيها لغة قريش، فمن المعلوم أن التشعّب اللغوي والتباين اللهجي كفيل بإذهاب أصل اللغة واضمحلالها على مر الزمن فيما أثبته دارسوا اللغات.

وهذا الذي ذكرنا غيض من فيض[24] ليس المراد منه تعداد وبيان الأثر القرآني على اللغة أصالة، وإنما بيان لتحول عرفته اللغة العربية بعد مجيء الإسلام، كون الحديث عن الألفاظ، والأسلوب، والموضوعات وتعدد اللهجات والفنون الكلامية حديث عن مادة الدرس اللغوي الذي أُرسِيت قواعده وجُمعت مادته بعدُ، على نسق البعد الإسلامي الحاصل في اللغة، يقول حسن ضياء الدين عتر: " لقد قام القرآن العظيم بدور بليغ عميق في اللغة العربية، وأدبها، وبلاغتها، وفي النقد الأدبي عند العرب، فإن المعجزة القرآنية الباهرة استعلت على جميع المواهب الأدبية العريقة، ونشرت أنوارها في أرجاء الجزيرة العربية جميعا، وبزغت على شعوب العالم فأدت إلى امتداد واسع للغة العربية، وإلى رقي بارز في أدبها وبلاغتها، وفي النقد الأدبي فيها."[25]

ومع استواء هذه اللغة على سوقها في كنف القرآن صارت مادة علمية قابلة للجمع والنظر في فنونها، وتقسيم علومها، وشرحها، ونظمها، وبسطها، بعد جمع القرآن والاشتغال بالسنة؛ إذ هما أصلا التشريع، وأوَّل ما خصَّه العلماء بالعناية، مع العلم أن الدعاية صارت أوكد إلى جمع العلم بعد عصر الخلفاء وركوب الناس الصعب والذلول، فكانت اللغة ضمن أولى الأولويات لما أسلفنا من كونها لغة الدين، ومع هذه الأولوية ظهرت جهود العلماء في ميدان درس اللغة العربية بعد الفترة الأولى من الإسلام والتي شهدت تحولات وظروفا خاصة كانت محورا في استقرار الدولة الإسلامية بدء من حروب الردة، وجمع القرآن والفتوحات والفتن الداخلية، استلزمت ترتيبا للأولويات وحكمة في صرف الاهتمامات، خصوصا إذا علمنا أن مسألة جمع العلم مسألة تبناها الخلفاء كانت بوادرها من خلافة عمر بن الخطاب وعلي رضي الله عنهما ثم عمر بن عبد العزيز ومن تلاهم، يقول السيوطي: " في سنة ثلاث وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف بن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة [...] وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة، والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة."[26]

وقد كان مصدر هذا الاهتمام علماءٌ من العرب وغير العرب، بلغ مبلغا عظيما في جانب اللغة العربية ولنا أن نتصور مدى بُعد هذه الدراسات وعمقها إذا نظرنا في أمهات مصادر اللغة لنجد فيها سبقا في كثير من الدراسات والنظريات التي قعّد لها الدارسون في العصر الحديث والمتعلقة بمستويات اللغة الأربعة على غرار الدراسات الصوتية كدراسة الخليل بن احمد الفراهيدي، وجهود اللغويين والأصوليين والفلاسفة في المستوى الدلالي، والبحث في التقلبات الصرفية ودلالاتها وغير ذلك من المباحث الكثيرة التي تعد أصلا في الدراسات اللغوية الحديثة، يقول سليمان العايد: "وفرغت فئات من المسلمين من غير العرب، من الموالي لخدمة اللسان العربي في مستوياته المختلفة: الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي، ولم يقتصر أمره على ما ورد به استعمال القرآن أو السنة، بل جاوزه إلى جمع اللغة، وإحصاء شاردها ونادرها، وحصر غريبها وشاذها، في جهد لم يتحقق للغة من اللغات، وعمل لم يحظ به لسان من الألسنة؛ حتى رأينا من مصنفات العربية الشيء العجاب، ألفه أو اكتتبه قوم ليسوا من أهلها نسبا ولكنهم منهم ولاء وحبا."[27]

إذن فالحاصل في صدر الإسلام من أمر الدرس اللغوي، ليس مطلق الجمع أو الاشتغال باللغة، فمعلوم أن أمر التدوين كان متأخرا إلى ما بعده كما أسلفنا، وإن كانت هناك محاولات مشهودة في جانب اللغة كمحاولة أبي الأسود الدؤلي النحوية في خلافة علي رضي الله عنه، إلاّ أنها لا تعدُ أن تكون لبنة من اللبنات الأولى لجانب من جوانب اللغة فقط وهذا في حد ذاته مسلك مهم من مسالك علوم اللغة العربية التي مهدت لما وُجد بعد هذا من علومها، ومنه يتقرر أن مرحلة صدر الإسلام هي مرحلة تحول راق في اللغة العربية كان فارس ميدانها القرآن الكريم وهي أيضا مرحلة ظهور الدعاية والحاجة إلى جمع اللغة وضبط قواعدها بعد أن بدأ نخر اللحن في لسان القوم فكانت مهدا لرحلة التدوين والجمع التي سلكها العلماء يقول أبو حاتم: "ورأينا العلماء باللغة العربية قد كفوا الناس مئونة هذا الشأن، وأحكموه إحكاما بيّنا لما دونوه من أشعار الشعراء، وألفوه من المصنفات، ووصفوه من الصفات في كل ما قدروا عليه مما يحتاج الناس إلى استدراكه، حتى لعله لم تفتهم كلمة غريبة، ولا حرف نادر إلا وقد ربطوه بأوثق رباط وعقلوه بأحكم عقال[...]."[28]

ولا ضير إن قلنا أنّ الإسلام هو الحجر الأساس والسر الذي كانت في حاجة إليه العربية، هذا السر هو أصل لبقائها وكمال مستوياتها وجودة فنونها، وكل جهد جاء بعد صدر الإسلام في جانب

الدرس اللغوي وجد لغة تامة ناضجة تعطي صاحبها من أسرارها ومعالمها على قدر بعد نظره فيها وملكته التي تسعفه على فهم واستخراج دُرّها، وبهذا يرسخ عند كل باحث أنه لولا الإسلام والقرآن لما كانت عربية مثل التي بين أيدينا، ولأسدل عليها التاريخ ستار النسيان وظلت لغة فئة معزولة تعيش في صحرائها يزهد فيها أهل العلم ويرغبون عنها إلى غيرها.

4. تحليل النتائج:

من خلال هذا المسار البحثي المتعلق بالدرس اللغوي في بيئتين مختلفتين فرق بينهما الإسلام هما العصر الجاهلي وصدر الإسلام، يتجلى لنا ذلك البون بين معالم درس اللغة في هاتين الفترتين وفق أسس أقرها الإسلام جاءت خدمة للدين، وتذليلا لسبل العلم التي دعا إليها القرآن، فيظهر بهذا الأثر الواقع على الجهود اللغوية من بداياتها إلى نضجها من معين القرآن الذي استقت منه أصولا وفروعا في درسها.

5. خاتمة:

إجمالا للقول وخِتاما لهذه الرحلة العلمية بين يدي القرآن الكريم والدرس اللغوي بمستوياته، وفق المرحليّة الخاصة بفترتين متباينتين نقول: إن اللغة العربية التي نزل بها القرآن كانت في قرارة الجاهلية لغة راقية، مثّلت مصدر العِزّ والفخر للعرب بما اشتملت عليه من دُررِ الرقي بين كل اللغات، تناقلها أصحابها مشافهة، وبرعوا فيها سليقة، فلما جاء الإسلام بعزّه والقرآن بإعجازه، زاد عِزّها عِزّا، وصَقَل دُررها وعالج موضوعاتها، وأحدثَ فيها التغيير وألزمها الشرف، وجعلها اللغة الخالدة والمادة الرصينة التي جمعها العلماء بِشاردها وواردها على فترة من الزمن، ومن هذا المسلك البحثيّ نخلُص إلى جملة من النتائج العلمية بيانها فيما يأتي:

- الطبيعة اللغوية في البيئة الجاهلية ملازمة لطبيعة الحياة وخصائصها في ذلك العصر، عَكست لنا مشاعر القوم وعاداتهم وكثيرا من شؤونهم.
- لم يُؤثر عن العرب في الجاهلية أيّ دراسات لغوية أو جهود في جانب مستويات اللغة أو جمع مادتها.
- سيّد الكلام وصاحب المقام في العصر الجاهلي، هو الشِّعر الذي خُصصت له أسواق وارتفعت به فئات ونزل به آخرُون، يظهر لنا جماله من خلال المعلقات والمحفوظ المتناقل الذي دُوّن في عصر التدوين.
- غياب التدوين والاشتغال باللغة في العصر الجاهلي مردّه إلى غياب الدوافع، والاعتماد على المشافهة، وأمية القوم.
- معالم الدرس اللغوي ومستوياته في العصر الجاهلي هي اللغة المتداولة في حد ذاتها، وهي المصدر الذي سيقت منه علوم اللغة في كنف القرآن الكريم.
- مجيء الإسلام ونزول القرآن المُعجز أحدث تغييراً على كل الأصعدة الخاصة بحياة العرب، بما في ذلك الجانب الفكري والعلمي.
- أثر القرآن ظاهرٌ على كل مستويات اللغة بدءً من ألفاظها وتراكيبها واشتقاقاتها، وصولا إلى إحداث الوحدة اللغوية فيها.
- صدر الإسلام هو مرحلة التحول الراقي في اللغة، وظهور منابت الحاجة إلى تدوين وجمع الدرس اللغوي بفنونه ومستوياته.

- الجهود اللغوية ومعالم درس العربية تحدّدت في قالب الذروة اللغوية في الجاهلية من جهة، والحياكة والنحت المشهودين للقرآن الكريم؛ الذي جعل اللغة مستوية على سوقها خالصة يرتوي من حناياها العلماء ويحكمون زمامها جمعا وتدوينا.

هذا ونتفضل **بتوصيات** للباحثين والدارسين لمزيد التوسع في هذا الشق المتعلق باللغة العربية من حيث التدرج التاريخي، والاختلاف اللغوي الحاصل في كل فترة، وما يميزها عن غيرها من الفترات التي مهدت للمستويات ومختلف الدراسات اللغوية المتوصل إليها في وقتنا.

6. قائمة المراجع:

1/ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425ه- 2005م.

2/ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1394ه- 1974م.

3/ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، الطبعة السادسة، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، 1988م.

4/ عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1423ه.

5/ أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1415ه – 1994م.

6/ أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، نشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، 1418ه – 1997م.

7/ حسن ضياء الدين عتر،المعجزة الخالدة، الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1415ه - 1994م.

8/ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، [د.ت].

9/ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م.

10/ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة، مصر،[د.ت].

11/ عبد الرحمن بن خلدون،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت،1408هـ - 1988م.

12/ زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408ه- 1988م.

13/ طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423ه- 2002م.

14/ كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، شرح وتقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417ه- 1997م.

15/ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1997م.

16/ سليمان العايد، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، [د.ت].

17/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379م.

18/ أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة الثانية،مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م.
19/ أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1421ه- 2001م.
20/ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،[د. ت].
21/ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى الباي، مصر، [د.ت].
22/ جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصفى الباز، 1425ه- 2004م.

7. هوامش البحث:

[1] نقل ابن حجر عن القرطبي قوله : " أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْأَصْنَامَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ عَمِلَ صَنَمَهُ مِنْ عَجْوَةٍ ثُمَّ جَاعَ فَأَكَلَهُ."، ينظر: أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379م. جزء10، ص384.

[2] يراجع: عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر،تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت،1408هـ - 1988م.جزء1، ص748.

[3] ينظر : أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة،نشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى،1415ه – 1994م، ص 73.

[4] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، الطبعة السادسة، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر،ص 79.

[5] أحمد أمين، فجر الإسلام،الطبعة الثانية،مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، ص 57.

[6] ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان،1423ه، جزء3، ص20.

[7] زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير ، شرح وتقديم: علي حسن فاعور،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408ه- 1988م، ص104.

[8] المرجع نفسه، ص110.

[9] طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423ه- 2002م، ص 32.

[10] كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، شرح وتقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417ه- 1997م، ص37.

[11] أشار إلى هذا التوافق جرجي زيدان، ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، جزء1، ص40.

[12] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب،دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، [د.ت]، جزء1، ص177.

[13]عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 1408 هـ - 1988م، جزء1، ص747.

[14] أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، 1418ه – 1997م، ص19.

[15] أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1997م، ص307.

[16] عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، 1423ه، جزء3، ص21.

مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425ه- 2005م ص87.[17]

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي،، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة، مصر، [د.ت]، ص32. [18]

[19] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1421ه- 2001م، باب: مسند عبد الله بن عباس، رقم:2216، جزء4، ص92.

[20] ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1394 ه- 1974م، جزء4، ص3.

[21] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، [د. ت]، ص16.

[22] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، [د.ت]، جزء1، ص66.

[23] المرجع نفسه، جزء2، ص127.

[24] للاستزادة في هذا الباب ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، من ص53- 66./ و عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن،الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى الباي، مصر، [د.ت]، جزء1، من ص303، إلى308.

[25] حسن ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة،الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1415ه / 1994م، ص7، 8.

[26] ينظر: جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء،تحقيق: حمدي الدمرداش، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصفى الباز، 1425ه- 2004م، ص194.

[27] سليمان العايد، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، [د.ت]، ص3.

[28] أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات العربية الإسلامية،تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1415ه – 1994م،ص134.